

البنى التركيبية الاسمية المنفية ودلالاتها في المعلقة العشر

أ. جيهان بلمولود
جامعة باجي مختار. عنابة-الجزائر

Résumé

La langue arabe est très riche par ses structures syntaxiques variées; dont la négation est un aspect de ces variations et que le poète arabe a très bien saisi cette importance ; et il l'a manifesté dans ses poèmes et nous avons choisi la recherche dans al-moualاقات al-achres

ملخص

الشعر ديوان العرب، وذخيرة العربي ودارس العربية، و ما المعلقة العشر إلا أنموذج حي عن تلك التراكييب التي تزخر بها العربية والتي تفنن الشاعر العربي في سبك قوالبها. وأثرنا الحديث في هذا المقام عن البنى التركيبية الاسمية المنفية مع دلالاتها البلاغية التي أحالت عليها ، فإذا كان الموجب يحمل دلالات ورسائل إلى المتلقي ، فالسالب أيضا له مقاماته التي يجب أن يرد فيها، وهو في ذلك غير عاجز عن إيصال تلك الرسائل إلى المتلقي في قوالب فنية غاية في الإبداع. وحاولنا من خلال هذا المقال الوقوف على مواطن النفي والنفي المؤكد في نصوص المعلقة العشر الطوال.

تحتل اللغة العربية مرتبة متقدمة بين باقي اللغات الأخرى ولا يقوى أحد مهما كان لسانه أن ينكر ذلك، فهي عريقة أصيلة، تحكمها قوانين وقواعد وضوابط توجه وتقوم كل من يجيد عن سمت صحتها، أو يوشك أن يلحن فيها.

ويكفيها فخراً أن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين، وبالتالي فقد ضمن بقاءها، على الأقل مدة بقاء الدين الإسلامي على وجه هذه المعمورة، ولا يخفى أن القرآن الكريم هو أول مصدر من مصادر التقييد في النحو العربي يليه الحديث النبوي الشريف، وفي المرتبة الثالثة كلام من يوثق في فصاحته، ومن هذا الكلام الشعر العربي فهو ديوان العرب، وهو الأول في الظهور قبل القرآن الكريم والحديث النبوي، إذ تذكر الكتب أن بذوره الأولى ترجع إلى حوالي مائة وخمسين إلى مائتي سنة قبل مجيء الدين الإسلامي.

ولأهمية الشعر العربي، ودوره الكبير في التأسيس للعلوم اللغوية والبلاغية والأسلوبية والتداولية... وغيرها، اخترنا نصوص المعلقة العشر- الطوال لنغوص فيها ونبحث عن الكيفيات والأساليب التي نفى بها الشاعر الجاهلي بناء التركيبية الاسمية الخبرية، محاولين إحصاءها والوقوف على نظامها النحوي قدر الإمكان، والأکید أن نظامها يختلف عما لو كانت في نص نثري، لأنها مقيدة بالوزن والقافية، فهي أحياناً تطول وأحياناً تقصر- فيقع فيها حذف مثلاً.

وبالصدفة حققنا منفعة لم نسع إليها عن قصد وهي إثراء معجمنا اللغوي العربي، فقد وقفنا على بعض الألفاظ الغريبة والموحشة والمهجورة لكن معانيها في بعض الأحيان كانت جميلة رقيقة وطريفة، حتى أن البعض منها يقترب من عاميتنا ونستخدمه في حياتنا اليومية، أو سمعناه يوماً من أسلافنا.

وحقيق أن اللغة العربية تزخر بأساليب متنوعة من البنى التركيبية، فمنها البنى الخبرية والإنشائية ومنها المثبتة والمؤكددة والمنفية نفياً مجرداً وحتى المنفية نفياً مؤكداً، وهذان الأسلوبان الأخيران هما ما سوف نحاول الوقوف عنده من خلال هذه الدراسة غير أننا سوف نهتم بالبنى التركيبية الاسمية الخبرية فقط واتخذنا المعلقات العشر أنموذجاً كما أشرنا إليه سابقاً.

وإذا كان البياض نقيض السواد فالنفي نقيض الإثبات ودواعي النفي في حياة الإنسان عديدة، من "أهمها:

1- المنحى الاجتماعي: تستجيب النفس إلى كل ما يحقق لها انجذاباً، وارتياحاً وتنفر مما يبعث على الضيم، والتشاؤم، من هنا تولدت ثنائية القبول، والرفض، أو النفي والإثبات.

2- المنحى اللغوي: ... فاصطنع وسائل لغوية تقلل بها صراعاته المريعة مع الحياة فطبعي أن ينشأ في لغته، ما يصور حالات التفاؤل والتشاؤم، فوظف للأولى أساليب النفي، وللثانية أساليب الإثبات.

3- المنحى البلاغي: ينبغي النظر إلى المقاصد البلاغية التي تشتمل عليها ظاهرة النفي، فقد يكون المقام أدعى للنفي منه إلى الإثبات⁽¹⁾

وعليه فأسلوب النفي ضروري -كالإثبات تماماً- في العملية التواصلية بين المرسل والمتلقي، وتستدعي السياقات أو مناسبات القول "وهو أسلوب نقض وإنكار، يستخدم لدفع ما يتردد في ذهن المخاطب، فينبغي إرسال النفي مطابقاً لما يلاحظه المتكلم من أحاسيس ساورت ذهن المخاطب"⁽²⁾، فربما أخطأ هذا الأخير في فهم رسالة المرسل، فيسرع إلى تصحيح الخطأ عن طريق إزالته بالنفي.

والجملة المنفية عكس المثبتة، فدلالة الجملة المثبتة موجبة ويمكن أن نحولها إلى السالب عن طريق أسلوب النفي، إن للنفي في اللغة العربية أدواتها الخاصة وعددها ثمانية: (لا) و(لات)، و(ليس)، و(ما)، و(إن)، و(لم)، و(لن)،

و(لَمَّا)، بعضها خاص بالدخول على الاسم وبعضها الآخر على الفعل، ومنها ما يدخل عليها معاً. والتي تهمنها هي الداخلة على الجملة الاسمية، ونصنفها كالآتي:

أولاً- البنى التركيبية الاسمية الخبرية المنفية نفيًا مجرداً:

1-أ:

من أقدم أدوات النفي، وتستعمل باطراد، تدخل على الجملة الاسمية كما تدخل على الفعلية "فتكون نافية وناهية وزائدة، فالنافية تعمل في النكرات عمل (إنّ) كثيراً، نحو: لا إله إلا الله، وعمل ليس قليلاً كقوله:
تعزّ فلا شيء على الأرض باقياً ولا وزر مما قضى الله وأقياً
والناهية تجزم المضارع، نحو: (ولا تمنن تستكثر)، و(فلا يسرف في القتل). والزائدة دخولها كخروجها"⁽³⁾، فهذه الأخيرة لا تغير المعنى، أي لا تحوّل من الموجب إلى السالب بل تقويه وتزيده تأكيداً، نحو قوله تعالى: (ما منعك ألا تسجد)⁽⁴⁾، والتأويل: ما منعك أن تسجد. ويمكننا تلخيص أنواع (لا) كما يلي:

تأتي أولاً نافية، عاملة وغير عاملة، فالعاملة هي (لا) النافية للجنس، أو (لا) التي للتبرئة، و(لا) النافية للوحدة وهي العاملة عمل ليس، و"لا" الهاملة [غير العاملة] فتكون عاطفة، نحو قولك: قام زيد لا عمرو، وخرج أخوك لا أبوك، وأما "لا" غير العاملة، فنميز فيها نوعين أن تكون حرف جواب غير عامل للرد على سؤال لإفادة النفي، وكثيراً ما تحذف الجمل بعدها، نحو: (لا)، رداً على من سأل: هل عاد أخوك؟ ونحوه.⁽⁵⁾

وتأتي غير العاملة (الهاملة) حرف نفي لمجرد النفي فقط لتلخيص الكلام من الإيجاب إلى السلب وكفى، نحو قوله تعالى: "لا يحب الله الجهر بالسوء"⁽⁶⁾، ونحو قوله: "لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار"⁽⁷⁾.

وتأتي (لا) ناهية، وهي التي تختص بالدخول على الفعل المضارع فتعمل فيه الجزم. أما الضرب الأخير فهي (لا) الزائدة، وتأتي لتقوية النفي وتوكيده وإذا حذفت يفهم الكلام من دونها.

والذي يهمننا في هذا المقام هي "لا" النافية غير العاملة لأنها لا تفيد التوكيد ، وقد وقفنا على بيتين شاهدين فقط في المعلقات العشر-، مرة مع الجملة الفعلية لا الاسمية في معلقة امرئ القيس ، و مرة أخرى في معلقة زهير بن أبي سلمى حينما قال:

وكان طوى⁽⁸⁾ كشحا⁽⁹⁾ على مستكنة فلا هو أبداها، ولم يتقدم⁽¹⁰⁾

يتحدث الشاعر عن (حصين بن ضمضم)، الذي أراد الثأر لأخيه المقتول والنيل من قاتله، لكنه أخفى نيته هذه ولم يبدها، لأنه أراد أن ينتقم بمفرده، وأفادت "لا" هنا نفي الماضي "ولا معناها لم ، كأنه قال: لم يبدها لهم ، كما قال الله عز وجل: "فلا صدق ولا صلي"، معناه فلم يصدق ولم يصل⁽¹¹⁾.

في هذه البنية التركيبية، اختار الشاعر النفي بـ (لا) التي تلاها المسند إليه ، الضمير المنفصل (هو) العائد على حصين وأضمر الفاعل لمناسبة مقام الغيبة، والمسند جاء جملة فعلية (أبداها)، ويضاف إليه المتمم (هاء) الغائبة مفعولا به، ويمكن تمثيل نمط هذه البنية كما يلي: لا + مسند إليه + مسند (جملة فعلية) + متمم.

2- ليس:

أخت كان، و تدخل على الجملة الاسمية فتنسجها، وهي "وحدة مورفولوجية، الغالب عليها أن تكون لنفي الحال، وقد تكون لنفي الماضي، والحال، والاستقبال كما هو الشأن في الحكم والأمثال، وهي عنصر- تحويل ينقل الكلام من الإيجاب إلى النفي"⁽¹²⁾ فدلالته النفي، أي تحويل الكلام المثبت إلى ضده، وقد اختلف فيها أهلي فعل ناقص أم أداة "فمنهم من عدها من الأفعال الناقصة، وهم جمهور أهل البصرة، ومنهم من عدها حرف عطف، وهم جمهور أهل الكوفة، ومنهم من عدها من أدوات الاستثناء، وفريق رابع عدها مهملة

تفيد النفي ليس غير، فلا عمل لها عند هذا الفريق، وحجتهم قول العرب: ليس الطيب إلا المسك⁽¹³⁾، ومن عدها فعلا، فكانت حجتهم قبول اتصالها بالضمائر، فنقول مثلا: ليسوا موجودين، ولسنا موجودين ...

وعلى أي حال، فإن استعمالها في شعر المعلقة لم تكن فيه مهمة بل عاملة، وعملت بصفقتها فعلا ناقصا، إلا أن استعمالها لم يكن مطردا بل وردت ست عشرة مرة، بين نفي مجرد و نفي مؤكد، وسوف نتناول في هذا المقام دلالتها على مجرد النفي، وإليك بيان ذلك:

أ- معلقة طرفة بن العبد: ورد شاهد واحد في البيت (96) التالي:

ولا تجعليني كامرئ ليس همه كهمي، ولا يغني غنائي ومشهدي⁽¹⁴⁾

يخاطب الشاعر هنا ابنة أخيه، ويطلب منها أن لا تسوي بينه وبين امرئ لا يشبهه في شجاعته وكرمه، فستان بين من ينفع الناس ويكون دوما حاضرا في الأوقات العصيبة وبين من لا يصل إلى الناس نفعه، وليس هنا لنفي الماضي، فهذه وصيته بعد موته. واعتمد لذلك طرفة بن العبد، الفعل الناقص (ليس)، واسمها المصدر (هم) الذي أضيف إلى الضمير (هاء) الغائب، وخبرها شبه الجملة (كهم) التي أضيفت إليها (ياء) المتكلم، ونمط هذه البنية التركيبية هو:

ليس + اسمها + متمم + خبرها (شبه جملة) + متمم.

ب- معلقة عمرو بن كلثوم: ذكر شاهد واحد في البيت رقم (96):

يقتن جيانا ويقلن لستم بعولتنا إذا لم تمنعونا⁽¹⁵⁾

يقول الشاعر بأن النساء اللائي يذهبن مع المحاربين ويقدمن العلف إلى الجياد يقلن لأزواجهن لستم لنا ولسنا لكم بعد اليوم، إذا لم تحسنوا الدفاع عنا، وليس هنا جاءت لنفي الاستقبال لأن تبرؤ النسوة من بعولتهن سوف يكون بعد المعركة. وجاءت (ليس) فعلا ماضيا ناقصا، واسمها ضمير متصل (تم)

وخبرها مفرد معرفة (بعولة) وقد أضيف إلى الضمير (نا) المتكلمين، هذا هو نمطها: ليس + اسمها (ضمير) + خبرها (مفرد) + متمم.

ج- معلقة الحارث بن حلزة: وظف الشاعر في معلقته هذا الضرب من البنى التركيبية مرة واحدة في البيت (36) الذي نصه:

ليس ينجي موائلا⁽¹⁶⁾ من حذار رأس طود⁽¹⁷⁾ وحررة* رجلاء⁽¹⁸⁾

لا داعي للهرب إلى رأس الجبل، أو السير في دروب صعبة المسالك، حذرا من الشاعر وقومه، فسوف يدركون الهاربين لا محالة، وليس هنا أفادت النفي في الحال، وامتدت إلى الاستقبال. واعتمد في ذلك الشاعر البنية التركيبية التالية، الفعل الناقص (ليس) حذف اسمها والتقدير: ليس الأمر، أما خبرها فهو الجملة الفعلية (ينجي رأس طود)، وفصل بين الفعل وفاعله المفعول به، وشبه الجملة (من حذار)، وإليك نمطها: ⁽¹⁹⁾ ليس + اسمها (محذوف) + خبرها (جملة فعلية) + متممات.

د- معلقة الأعشى: أيضا جاء شاهد واحد في هذه المعلقة وهو رقم (05):

ليست كمن يكره الجيران طلعتها ولا تراها لسر الجار تحتل⁽²⁰⁾

إن الحبيبة شيمتها الترفع عن التنصت على الجيران، وليست ممن يكره الجيران مشاهدتها، ودلالة نفي (ليس) هنا امتد من الماضي (فتلك عاداتها)، إلى الحاضر (ولا زالت)، وحتى الاستقبال (إذ سوف تبقى على طبعها وخصالها الحميدة).

واسم (ليس) في هذا البيت ضمير مستتر تقديره (هي) يعود إلى الحبيبة وهي (هريرة) والتاء للتأنيث، وخبرها شبه الجملة (كمن) وهما حرف الجر (ك).

¹ ملاحظة: - يجوز أن نجعل (طود) اسم ليس مؤخرا، و فاعل الفعل (ينجي) ضمير مستتر تقديره (هو) عائد على الطود.

- كما يجوز أن تكون (ليس) نافية فقط و لا عمل لها، و الجملة بعدها فعلية لا اسمية منسوخة.

والاسم الموصول (من) ثم متمم وهي الجملة الفعلية صلة الموصول (يكره الجيران طلعتها)، ونمط هذه الجملة هو: ليس + تاء التانيث + اسمها (ضمير مستتر) + خبرها (شبه جملة) + متمم.

هـ- معلقة عبيد بن الأبرص: ورد شاهدان اثنان في البيت (03) و(26) التاليين:

فردة، فقفا جبر ليس بها منهم عريب⁽²¹⁾

والله ليس له شريك علام ما أخفت القلوب⁽²²⁾

في البيت الثاني يخبرنا الشاعر بأن الله واحد أحد وعلام الأسرار والمكنونات، والنفي في البنية التركيبية الشاهد جاء بالفعل الناقص (ليس) ودلالته النفي المطلق، فالله - سبحانه وتعالى - لم يكن له شريك، وليس له شريك ولن يكون له شريك دائماً وأبداً. وقد تقدم اسمها، وجاء شبه الجملة (له) أما اسمها فهو النكرة (شريك) ويمكن تمثيل نمطها كما يلي:

ليس + خبرها (شبه جملة) + اسمها.

* لم ترد (ما) نافية دون توكيد في المعلقة، إذ كل حالات ورودها جاء مقترنا بالتوكيد.

ثانياً- البنى التركيبية الاسمية الخبرية المنفية نفياً مؤكداً:

في بعض الحالات، يعجز مجرد النفي عن ترجمة الأحاسيس والانفعالات التي تختلج في نفس المرسل، فيحتاج إلى أسلوب أقوى بل أكد من النفي فعمد إلى توكيده، والحال سيان عند شاعر المعلقة، ففي الحالات التي مرت بنا لجأ فيها إلى النفي فقط، بيد أنه هنالك مقامات احتاج فيها إلى التوكيد وكان له في ذلك طريقة، وإليك بيان ذلك:

1- لا النافية للجنس:

تدخل على الجملة الاسمية فتعمل فيها نسخا وتحويلا من حيث الدلالة و العلامة الإعرابية " و تسميتها متأتية من أنها تنفي الحكم (الخبر) عن كل فرد من أفراد جنس الشيء الذي دخلت عليه، أي يقصد بها التنقيص على سبيل استغراق النفي للجنس كله، وبهذا يحترز من دخول (لا) أخرى يأتي بعدها الاسم مرفوعا، فإنها ليست نصا في نفي الجنس بل تحتمل أمرين: نفي الواحد، ونفي الجنس" (23)، وتعرف هذه الأخيرة بـ (لا) النافية للوحدة وتعمل عمل ليس، وتعرف أيضا بـ (لا) الحجازية، ولم نقف عليها أبدا في المعلقات العشر.

أما (لا) النافية للجنس أو (لا) التبرئة، فهي التي تدل على تبرئة جميع أفراد جنسها من حكم الخبر فلو قلنا مثلا: لا رجل في الدار، نفينا نفيا مؤكداً أن يكون أحد من جنس الرجال في الدار، وقد استغرقتنا في نفينا هذا جنس الرجال عامة أي كلهم.

و من أهم الفروق بين (لا) النافية للجنس و (لا) النافية للوحدة، أن الأولى تكون دائما لنفي الجنس، أما الثانية " فإنها محتملة لنفي الجنس، و لنفي الوحدة وليست نصا في أحدهما، وقد وهم من قال أنها لا تنفي إلا الوحدة بل هي لنفي الجنس برجحان، كما احتمل أن تكون نفيت واحدا من هذا الجنس، فيصح أن نقول: لا رجلٌ بل رجالان، ولا يصح ذلك في "لا" النافية للجنس" (24)، فقولنا: لا رجلٌ، هو في الأصل أي التأويل جواب عن السؤال: هل من رجل في الدار؟، و(من) تفيد استغراق الجنس.

في حين قولنا: لا رجلٌ في الدار، جواب في التأويل عن السؤال: هل رجل في الدار؟ " والفرق بين التعبيرين أن ما فيه (من) هو نص في السؤال عن الجنس، وما ليس فيه (من) يحتمل أن يكون السؤال عن الجنس وعن الوحدة" (25)، وتعمل عمل إن، فتنصب المبتدأ و يصبح اسما لها وترفع الخبر و يصبح خبرا لها، وإن كان الأصل فيها أن لا تعمل لأنها حرف غير مختص، أي

أنها تدخل على الاسم كما تدخل على الفعل والأصل في العمل للحروف المختصة، وقد قيست هذه الـ(لا) على (إن) لعل مشتركة فيما بينهما هي:
 "1- تشابهها في التأكيد، فـ(إن) لتأكيد الإثبات و (لا) لتأكيد النفي ...

2- دخولها على الجملة الاسمية

3- استحقاقها صدر الكلام⁽²⁶⁾

ولكي تعمل (لا) النافية للجنس عمل (إن) قيّدت بشرط على اتفاق الجمهور نوجزها كما يلي:

1- أن تكون نافية ، و أن يعم النفي جميع أفراد الجنس .

2- أن لا تتكرر، فإن تكررت لم يتعين إعمالها وإنما يجوز.

3- ألا يفصل بينها وبين اسمها فاصل، فإن فصل بينهما ألغيت، نحو قوله تعالى " لا فيها غول"⁽²⁷⁾

4- أن يكون اسمها وخبرها نكرتين، فلا تعمل في المعارف، وما ورد منها كذلك فيؤول بنكرة.

5- أن لا يدخل عليها حرف جر، فإن دخل عليها ألغي عملها، و صار ما بعدها معمولاً لحرف الجر، نحو: جئت بلا زاد فـ "لا" في هذا المثال نافية زائدة لا عمل لها، " وهذا الشرط الأخير غريب فإنهم يقولون أنها تدخل على المبتدأ والخبر، أي تدخل على الجمل و (بلا زاد) ليست جملة بل هي مفرد، والمعنى: جئت بغير زاد، فهذا الشرط فيه نظر وعند الكوفيين أن لا هنا اسم بمعنى (غير) والمعنى جئت بغير زاد، وما بعدها مجرور بالإضافة، وهذا القول أقرب إلى المعنى"⁽²⁸⁾

وقد حاولنا الوقوف على المواضع التي وردت فيها "لا" النافية للجنس في شعر المعلقة، فكانت النتيجة التالية:

أ- معلقة امرئ القيس: جاءت "لا" النافية للجنس مرة واحدة

في هذه المعلقة، في البيت العاشر التالي:

ألا ربّ يومٍ لكٍ منهنّ صالحٍ ولا سيما يومٍ بدارةٍ جلجل⁽²⁹⁾

الشاهد في هذا البيت هو الشطر الثاني، حيث كان النفي مؤكداً باستخدام "لا" التبرئة واسمها (سي)، وهو معرب لا مبني، وقد أضيف إلى (يوم) وعليه فـ (ما) زائدة فزادت بذلك من تأكيد النفي، وخبرها محذوف تقديره (موجود)، ثم شبه الجملة (بدارة جلجل) المتعلقة بمحذوف صفة ليوم، ونمط هذه البنية التركيبية هو:

لا + اسمها + ما (زائدة) + متمم + خبرها (محذوف) + متممات.

ب- معلقة زهير بن أبي سلمى: ورد في هذه المعلقة نوعان من اللاءات، "لا" النافية للجنس، والنافية للوحدة -تتناولها لاحقاً- فالنافية للجنس جاءت في قوله، البيت رقم (50):

سئمت تكاليف الحياة و من يعيش ثمانين حولاً لا أبالك يسأم⁽³⁰⁾

عندما بلغ الشاعر الثمانين من عمره زهد في الحياة، ولم يستطع أن يرى فيها لذة واستمتاعاً فسئم منها وملها، وأكد هذا المعنى باستخدامه جملة اعتراضية هي: لا أبالك، والجملة الاعتراضية "مثل ما عرفنا" أسلوب من أساليب التوكيد، وزاد على توكيده باستخدامه لـ "لا" النافية للجنس، واسمها (أبا) وخبرها شبه الجملة (لك) كما يجوز أن نجعل خبرها محذوفاً تقديره موجود، ونمط هذه البنية هو: لا + اسمها + خبرها (شبه جملة).

ج- معلقة الأعشى: جاءت عنده "لا" النافية للجنس مرة واحدة بالبيت رقم (34) في قوله:

إمّا ترينا حفاة لا نعال لنا إنا كذلك ما نحفى و نتعل⁽³¹⁾

نمط هذه البنية التركيبية هو: لا + اسمها + خبرها (شبه جملة).

وحوى هذا البيت كناية عن تقلب الحال بين الغنى والفقر، فهم أحياناً فقراء حفاة، وأحياناً أخرى أغنياء يلبسون النعال. ولتوكيد حال فقرهم، أثر

الأعشى استخدام التوكيد بـ "لا" النافية للجنس، واسمها (نعال) أما خبرها فشبه الجملة (لنا).

د- معلقة النابغة الذبياني: جاء عنده هذا الأسلوب من التوكيد أربع مرات في الأبيات (07)، و(18)، و(42)، و(44) التالية:

فعد عما ترى، إذ لا ارتجاع له	وانم القتود على عيرانة أجد ⁽³²⁾
لما رأى واشق إقعاص صاحبه	ولا سبيل إلى عقل ولا قود ⁽³³⁾
لا تقذفيني بركن، لا كفاء له	ولو تائفك الأعداء بالرفد ⁽³⁴⁾
أنبت أن أبا قابوس أوعدني	ولا فرار على زار من الأسد ⁽³⁵⁾

في البيت الأخير، الشاعر خائف وجل من أبي قابوس الذي توعدده بالقتل، فلا مفر من ذلك، وفي عجزه استعارة تصرّحية شبه فيها الشاعر أبا قابوس بالأسد، وقد حذف المشبه وصرح بالمشبه به، وأكد أنه لا مفر منه باستخدام "لا" النافية للجنس، واسمها (فرار) أما خبرها فمحذوف تقديره (موجود) أو (باق)، وباقي أشباه الجمل متعلقة بهذا الخبر المحذوف، وإليك نمط هذه البنية التركيبية: لا + اسمها + خبرها (محذوف) + متمات.

هـ- معلقة عبيد بن الأبرص: استخدم "لا" النافية للجنس مرة واحدة فقط في البيت (50) عندما قال:

يضغو⁽³⁶⁾ ومخلبها في دفه لا بدّ حيزومه⁽³⁷⁾ منقوب⁽³⁸⁾

يصف الشاعر مشهد القوة، ذلك الطائر الجارح حينما نشبت في صدر الثعلب، وهو يصرخ ويصيح، فالأكيد أنها شقته بمخلبها. ولتأكيد ذلك، لجأ الشاعر إلى "لا" المؤكدة للنفي، ثم اسمها (بد) وخبرها جاء جملة اسمية من مبتدأ وخبره (حيزومه منقوب)، وتمثيل هذه البنية هو: لا + اسمها + خبرها (جملة اسمية).

2- ليس، مع حرف الجر الزائد:

حرف الجر الزائد لا يضيف معنى جديداً إلى الجملة المثبتة، بل يؤكد حكمها ودلالاتها فحسب و الأمر سيان في البنية التركيبية المنفية، فدلالاتها لن تتغير بدخول حرف الجر الزائد بل سوف تزداد قوة وتوكيدا فحسب، ومن الأساليب التي استخدمها شعراء المعلقات، التوكيد بالفعل الماضي الناقص (ليس) وهو يفيد النفي، وزيادة باء الجر في خبره فغالبا ما تلحقه باء الجر، و حتى هنالك ما يعرف في الدرس النحوي بالعطف على التوهم، فنعطف اسما مجرورا على خبر ليس المنصوب متوهمين أننا أدخلنا عليه حرف جر زائد، وهذه هي الحال الغالبة فيه، نحو: ليس الجو بارداً ولا حاراً، بل دافئ.

وقد وقفنا على إحدى عشر- شاهدا في المعلقة العشر-، هذا تفصيل القول فيها:

أ- معلقة امرئ القيس: استخدم هذا النوع من التوكيد ثلاث مرات في الأبيات (34)، و(42)، و(60) التالية:

وجيد كجيد الرئم ⁽³⁹⁾ ليس بفاحش	إذا هي نصته ⁽⁴⁰⁾ ، ولا بمعطل ⁽⁴¹⁾
تسلت عمايات الرجال عن الصبا	و ليس فؤادي عن هواك بمنسل ⁽⁴²⁾
ضليع ⁽⁴³⁾ إذا استدبرته سد فرجه	بضاف ⁽⁴⁴⁾ فوق الأرض لي بأعزل ⁽⁴⁵⁾

في البيت الأول يخبرنا الشاعر بأن عنق محبوبته جيد ترفعه، يشبه عنق الطي الخالص البياض، ليس كرية المنظر، ويختلف عن عنق الطيبة بحليه التي تزيده جمالا. واختار امرؤ القيس للتعبير عن إعجابه بجيدها، و تأكيده على جمال ذلك العنق بنية تركيبية منفية بالفعل الناقص (ليس) الذي شمل الأزمنة الثلاثة، الماضي والحاضر وسوف يمتد إلى فناء هذه المحبوبة، واسمها ضمير مستتر تقديره (هو) عائد على الجيد، ثم أدخل على خبرها اسم الفاعل النكرة (فاحش) بعدها عطف عليه التركيب (لا بمعطل)، وهذه الـ "لا" زائدة للتأكيد أيضا، وقد فصل فيما بين المعطوف عليه و المعطوف به، جملة فعلية

تفسيرية هي (إذا هي نصته)، لا محل لها من الإعراب، ونمط هذه البنية التركيبية هو:

ليس + اسمها (مستتر) + باء الجر الزائدة + خبرها + متمات.

ب- معلقة طرفة بن العبد: وقفنا على الشاهدين التاليين في البيت (45)، و(87):

ولست بحلال التلاع⁽⁴⁶⁾ مخافة ولكن متى يسترفد القوم أرفد⁽⁴⁷⁾

حسام إذا ما قمت منتصرا به كفى العود منه البدء ليس بمعضد^{(48)**}

يفتخر الشاعر في البيت الثاني بسيفه البتار، والذي تكفي منه ضربة واحدة للقضاء على العدو، ولا حاجة إلى ضربة ثانية، وهو ليس بالسيف الرديء الذي يتخذ لقطع الأشجار، وأكد هذا المعنى الأخير حينما أدخل على البنية التركيبية المنفية باء الجر الزائدة، ونفي ليس امتد مسافة زمنية طويلة فشمّل الماضي والحاضر وحتى المستقبل، فسيف مهند كهذا رافق الشاعر البارحة ولا زال يرافقه اليوم ولا محالة سوف يرافقه غدا أيضا، ونمط هذه الجملة هو:

ليس + اسمها (ضمير مستتر) + باء الجر الزائدة + خبرها.

و اسمها المستتر يعود على الحسام، أما خبرها فاسم مشتق نكرة (معضد) مسبق بباء الجر الزائدة.

ج- معلقة زهير بن أبي سلمى: وقفنا على شاهد واحد في البيت (26) التالي:

تعفى الكلوم بالمئين، فأصبحت ينجمها من ليس فيها بمجرم⁽⁴⁹⁾

يقول زهير بن أبي سلمى بأن الجروح تمحى بالمئين من الإبل، والمئين جمع مذكر سالم لمائة، و تلك الدية ينجمها أو يعطيها نجوما أي أقساطا من هو بريء و بعيد عن الجرم في تلك الحروب. و أكد تبرئة ذمة السيدين الذي امتدحهما في أبيات سابقة و لا زال يمتدحهما، باستخدام ليس التي أفادت النفي في الماضي و

باء الجر الزائدة، و اسم (ليس) ضمير مستتر تقديره (هو) يعود إلى من يدفع الدية ، ثم نجد جارا ومجرورا (فيها) تعلقا بـ (مجرم) بعدها، ثم حرف الجر الزائد الذي أفاد التوكيد، فخيرها اسم الفاعل النكرة (مجرم)، وهاك نمط هذه البنية التركيبية:

ليس + اسمها (ضمير مستتر) + متمم + باء الجر الزائدة + خبرها.

د- معلقة عنتر بن شداد:

اطرد عنده هذا النوع من أسلوب التوكيد أربع مرات في الأبيات (10)، و(19)، و(56)، و(60) التالية:

علقتها عرضا وأقتل قومها	زعما - ورب البيت - ليس بمزعم ⁽⁵⁰⁾
أوروضة أنفا تضمن نبتها	غيث قليل الدمن ليس بمزعم ⁽⁵¹⁾
كملت ⁽⁵²⁾ بالرمح الطويل ثيابه	ليس الكريم على القنا بمحرم ⁽⁵³⁾
بطل كأن ثيابه في سراحة	يخدى نعال السبت ليس بتوأم ⁽⁵⁴⁾

البيت الأخير فيه الشاهد وهو التوكيد بحرف الجر الزائد، في بنية تركيبية منفية بـ (ليس) في الماضي، فذلك البطل ليس له توأم شاركه في رحم أمه ليخرج ذلك البطل ضعيفا، ولم يرضع معه لبن أمه، فذلك البطل منذ ولادته توفرت له ظروف النشأة الصحية والقوة، و نمط هذه البنية هو: ليس + اسمها (ضمير مستتر) + باء الجر الزائدة + خبرها (مفرد).

3- ما الحجازية، مع حرف الجر الزائد:

تنوعت أدوات النفي في لغة الضاد، و ما هذا التنوع إلا دليل على إمكاناتها وطاقاتها اللغوية و رقيها و سموها بين باقي اللغات الأخرى، و من تلك الأنواع، النفي بـ "ما" و "هي" الأصل في النفي، وهي أمّ بابه، و النفي فيها أكيد ... و زعم الأصمعي أن (ما) لم تقع في الشعر إلا على لغة تميم، قال بعض النحويين فتصفحت ذلك فوجدته كما ذكر ما خلا ثلاثة أبيات⁽⁵⁵⁾.

و(ما) هذه تدخل على الأسماء كما تدخل على الأفعال، فهي حرف غير مختص وكان حقها ألا تعمل لكن الحجازيين والتهاميين و النجديين أعملوها، وصارت تعرف بـ (ما) الحجازية، " وتشبه ما بليس في لغة أهل الحجاز، فيقولون: ما زيد قائماً، وما عمرو جالسا، وأما بنو تميم فيجرونها مجرى هل، فلا يعملونها، فيقولون: ما زيد قائم"⁽⁵⁶⁾، لكن عملها هذا مقيد بشرط، نجملها في النقاط التالية:

- ألا تزداد بعدها (إن)، فإذا زادت ألغى عملها نحو قول الشاعر:

بني غدانة ما إن أنتم ذهب ولا صريف ولكن أنتم الخزف⁽⁵⁷⁾
- بقاء دلالتها على النفي.

- وجوب تقديم اسمها على خبرها، فإن تأخر أهملت.

- ألا يتقدم معمول خبرها عليها.

فإذا لم يتحقق شرط من هذه الشرط أهملت وألغى عملها، وإذا دخلت (ما) على الجملة الفعلية تحول معناها من الموجب إلى السالب فقط ولا تعمل فيها، "وهي تخلص الفعل المضارع إذا دخلت عليه للحال عند جمهور النحويين، ما لم توجد قرينة تدل على الاستقبال"⁽⁵⁸⁾.

* الفرق بين "ما" و "لا":

عرفنا أن كلاهما من نواسخ الجملة الاسمية، والواقع أن الفرق بينهما في المعنى والاستدلال، فعند الإجابة بـ (لا) يكون ذلك إعلالاً للمخاطب بما لم يكن يعلم، أو ما نزل هذه المنزلة، عندما نجيب عن السؤال: هل من رجل؟، أما "ما" فهي رد على قول وتصحيح ظن، لمن قال: إن في الدار رجلاً.⁽⁵⁹⁾

* الفرق بين "ما" و "ليس":

كلاهما من نواسخ الجملة الاسمية، وتعملان عمل "إن" وتدلان على النفي، واختلفتا في عشرة أوجه هي " يطل عملها بزيادة إن، ودخول إلا، وتقديم الخبر ومعموله، وإذاعطف عليها سببي نحو: ما زيد راكباً ولا سائراً أخوه جاز في سائر الرفع والنصب، أو أجنبي لم يجز إلا الرفع نحو: ما زيد سائر

ولا ذاهب عمرو، ولا تحمل الضمير فلا يقال: زيد ما قائماً كما يقال زيد ليس قائماً، ولا تفسر- فعلاً لأن الأفعال يفسر- بعضها بعضاً، وإذا كان بعد الاسم فعل فالحمل عليه أولى من الاسم نحو: ما زيداً أضربه، على تقدير: ما أضرب زيداً أضربه، وهو أولى من رفعه ولا يخبر عنها بفعل ماضي فلا يقال: ما زيد قام، لأنها لنفي الحال، ولا يحسن تقديم الخبر المجرور نحو: ما بقائم زيد، كحسنه في ليس، قال: فجميع ما جاز في (ما) يجوز في (ليس) ولا يجوز في (ما) جميع ما جاز في (ليس)⁽⁶⁰⁾

وقد وردت ما الحجازية في شعر المعلقة ست مرات فقط، وفي كل تلك الحالات جاء خبرها مقترناً بباء الجر الزائدة، وإليك بيان ذلك:

أ- معلقة امرئ القيس: وردت في هذه المعلقة "ما" الحجازية مرة واحدة في قوله بالبيت (46):

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح، وما الإصباح منك بأمثل⁽⁶¹⁾

نمط هذه البنية التركيبية الشاهد هو: ما الحجازية + اسمها + متمم + باء الجر الزائدة + خبرها.

طال الليل على الشاعر، فطلب منه أن ينقش بظلامه الحالك، ثم وكأنها اعتذر منه بطريقة لبقة شاعرية قائلاً، بأن الصبح ليس أفضل منك، لما يحمله لي النهار من هموم متجددة. وقد أكد له بأن الصبح ليس أفضل منه، باستخدامه "ما" الحجازية التي أخرجت النفي إلى الإستقبال- فالصبح لم ينقش بعد- وبإدخاله باء الجر الزائدة على خبرها (أمثل) واسمها (الإصباح) وتلاه الجار والمجرور المتعلقان بالخبر بعدهما².

² - ملاحظة:- الفعل (انجلي)، فعل أمر مبني على حذف حرف العلة وهي الباء المحذوفة، والباء المثبوتة كتابياً ليست حرفاً أصلياً في الفعل إنما هي باء الإشباع، أي لإشباع كسرة اللام فقط، وليست علامة إعرابية، أو تحمل علامة إعرابية.

- الخبر (أمثل)، ممنوع من الصرف للوصفية و وزن الفعل، و كان من المفروض أن يجر بفتحة نيابة عن الكسرة (لفظاً) لكنه جرّ بالكسرة للضرورة الشعرية، و ما جاء للضرورة ليس قاعدة يقاس عليها، فليس هذا من باب التمسك باستصحاب الحال.

ب- معلقة طرفة بن العبد: وقفنا على بيت واحد في قوله:

لعمرك ما أمري على بجمة نهاري، ولا ليلى علي بسرمد⁽⁶²⁾

أمور الشاعر ليست غمة عليه فلا يهتدي إلى حلها، لذلك نهاره لا يتحير فيه ولا يطول عليه الليل من كثرة الهموم، وأكد ذلك باستخدام حرف الجر الزائد داخل بنية تركيبية منفية ودلالة النفي في الماضي، واسمها (أمر) معرف بإضافته إلى ياء المتكلم ثم جار ومجرور (علي) وقد أفادا التخصيص فخيرها النكرة (غمّة) مسبوقا بالباء الزائدة، ونمط هذه البنية هو: ما + اسمها + متمم + الباء الزائدة + خيرها (مفرد).

ج- معلقة زهير بن أبي سلمى: ورد عنده هذا الضرب من التوكيد مرة واحدة فقط، في قوله بالبيت (31):

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتمو وما هو عنها بالحديث المرجم⁽⁶³⁾

الشرط الثاني حوى نفياً مؤكداً باستخدام "ما الحجازية" التي دلت على النفي في الماضي واسمها الضمير المنفصل (هو)، ثم الجار والمجرور (عنها) وقد تعلقا بالضمير (هو) ثم "باء" الجر الزائدة فخيرها، المجرور لفظاً المنصوب محلاً (الحديث)، ثم صفته (المرجم)، وهذا نمط هذه البنية التركيبية:

ما + اسمها + متمم + باء الجر الزائدة + خيرها + متمم.

د- معلقة عمرو بن كلثوم: عثرنا على شاهد واحد يمثل هذا البيت:

وما شر الثلاثة -أم عمرو- بصاحبك الذي لا تصبحينا⁽⁶⁴⁾

يخاطب الشاعر أم عمرو، ويقول لها بأنه ليس هو -الذي لا تسقيه- شر الثلاثة الذين تسقيهم الخمر، واستخدم لنفي بنيته التركيبية (ما) الحجازية الدالة على الماضي، وأكد ذلك بالجملة الاعتراضية الندائية (أم عمرو) وباء الجر

الزائدة الداخلة على خبرها (صاحب) والذي أضيف إلى الضمير (كاف المخاطب)، وتلاه نعت الاسم الموصول (الذي) ثم صلته، أما اسمها (فـ) (شر) المضاف إلى (الثلاثة)، ويمكن تمثيل هذه البنية التركيبية كما يلي:

ما الحجازية+اسمها+متمم+جملة اعتراضية+باء الجر الزائدة+ خبرها+متممات.

هـ- معلقة الأعشى: ورود "ما" الحجازية في معلقة الأعشى جاء مخالفا للعادة، و مظهرا من مظاهر تمكن العربي من لغته التي أتاحت له وسائل تمكنه من الاستطراد والإطناب دون التأثير السلبي على الدلالة، فركب الشاعر الجاهلي - مثلا- جملة بطريقة متشابهة حتى يتمكن من نقل تشابك أحاسيسه وإنفعالاته إلى نفس المتلقي، وهذه المعلقة خير مثال على ذلك، فقد وردت "ما" الحجازية و اسمها في البيت رقم (14) أما خبرها فقد تأخر عنها إلى غاية البيت رقم (16)، وإليك هذه الأبيات:

- (14) ماروضة من رياض الحزن معشبة خضراء جاد عليها مسبل هطل
(15) يضاحك الشمس منها كوكب شرق مؤزر بعيم النبت مكتهل
(16) يوما بأطيب منها نشر رائحة ولا بأحسن منها إذ دنا الأصل⁽⁶⁵⁾

يقارن الشاعر في هذه الأبيات بين رائحة حبيبته الزكية الفواحة، و رائحة روضة في أرض مرتفعة، يهطل عليها المطر الغزير، فهي معشبة خضراء و بها زهر يدور حيث الشمس دارت. و استخدم لتوكيد نفي مشابهة رائحة الروضة برائحة الحبيبة (ما) الحجازية التي صبت الدلالة في الماضي والحاضر في الآن نفسه، ثم اسمها (روضة) ثم جملة متممات ليفسح مجالا لاتساع الدلالات التي سوف يستوعبها هذا البيت الشعري والتي كانت جلها صفات للروضة، أوجارا و مجرورا متعلقان بإحدى هذه الصفات، و هناك ظرف زمان (يوما) وقد تعلق بخبرها، وأخيرا (باء) الجر الزائدة فخيرها (أطيب) وهو اسم تفضيل منع من الصرف للوصفية و وزن الفعل. و نمط هذه البنية التركيبية هو:

ما الحجازية + اسمها + متمات... + باء الجر الزائدة + خبرها.

و- معلقة النابغة الذبياني: استخدم النابغة الذبياني في نفيه بـ (ما) الحجازية، الطريقة نفسها التي توسدها الأعشى من قبل، فـ (ما) الحجازية واسمها في البيت رقم (45)، أما خبرها ففي البيت رقم (48)، وفصل بينهما بيتان كاملان:

فما الفرات، إذا جاشت غواربه	ترمي أواذيه العبرين بالزبد
يمده كل واد مزبد لجب	فيه حطام من ينبوت و الخضد
يظل من خوفه الملاح معتصما	بالخيزانة بعد الأين و النجد
يوما بأجود منه سيف نافلة	ولا يحول عطاء اليوم دون غد ⁽⁶⁶⁾

يقارن النابغة الذبياني في هذه المقطوعة من الأبيات الشعرية، بين سخاء ملكه و سخاء نهر الفرات، فعندما يفيض هذا النهر، ويرفد معه مياه الوديان المنحدرة و المحملة بشتى أنواع النباتات المتحطمة المتكسرة، فالفرات في هذه الحال ليس أكثر عطاء و سخاء من ملكك الشاعر.

فـ (ما) حجازية نافية في الماضي والحاضر والمستقبل فهذا الكريم لن يغير من شيمه، واسمها (الفرات) تلتها جمل مختلفة منها الشرطية والفعلية والاسمية، ثم الظرف (يوما) متعلق بخبر ما، ثم نجد خبرها (أجود) وهو اسم تفضيل و إليك تمثيل هذه البنية:

ما + اسمها + متمات + باء الجر الزائدة + خبرها.

4- لا الحجازية مع حرف الجر الزائد:

لا النافية للوحدة أولا الحجازية، سميت كذلك لأن الحجازيين يعملونها عمل ليس عكس التميميين الذين يهملونها، وتعمل عندهم بشوط:

1- أن يتقدم خبرها على اسمها.

2- ألا ينتقض النفي بإلا.

3- ألا يليها معمول الخبر وليس بشبه جملة*.

4- ألا يكون النفي لنفي الجنس.

5- لا تعمل إلا في الشعر [ذكر هذا الشرط ابن هشام في قطر الندى]

6- أن يكون معمولاً لها نكرتين⁽⁶⁷⁾، وهذا الشرط الأخير في الواقع للبصريين، أما الكوفيون فلا يشترطون ذلك، ثم أنه قد وردت عدة شواهد جاء فيها معمولاً (لا) الحجازية معرفة ويمكن تعديل هذا الشرط الأخير بأن نقول: وأكثر حالات عملها في النكرات، ومن الشواهد في الشعر قول المتنبي: إذا الجود لم يرزق خلاصاً من الأذى فلا الحمد مكسوباً ولا الحال باقياً.⁽⁶⁸⁾

ونحو قول سواد بن قارب:

فكن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعه بمغن فتيلاً عن سواد بن قارب.⁽⁶⁹⁾

وفي الشاهد الثاني نلاحظ دخول باء الجر الزائدة على خبر "لا" شأنها في ذلك شأن ليس "وقد تزداد بعد خبر لا العاملة [سواء أكانت عاملة عمل ليس أم عاملة عمل إن] نحو: لا جاء بخالد، ولا سلطان بدائم، وأصل الكلام: لا جاء خالد، ولا سلطان دائماً".⁽⁷⁰⁾ ووقفنا على شاهدين اثنين في المعلقة العشر، نفصل فيهما كما يلي:

أ- معلقة زهير بن أبي سلمى: أحصينا شاهداً واحداً في البيت⁽⁴⁹⁾ الذي نصه:

كرام، فلا ذو الضغن يدرك تبه ولا الجارم الجاني عليهم بمسلم⁽⁷¹⁾

يتحدث الشاعر عن قوم يظلمون الناس، ولا يستطيع أحد النيل منهم و الأخذ بثأره، حتى أن الجاني عندما يحتمي بهم فهو في مأمن، و "الجارم ههنا لا يقصد منه الذي أحدث الجرم، وإنما يريد به الذي ينسب إلى الجرم، فيقال عنه: هذا رجل من شأنه ارتكاب الجرم"⁽⁷²⁾، ولتوكيد احتواء الجارم بهم، استعمل "لا" النافية للوحدة، والتي تصلح أيضاً لنفي الجنس مثلما رأينا، بعدها نجد

اسمها وهو اسم فاعل معرفة (الجارم) ثم الصفة (الجاني)، فالجار والمجرور (عليهم) وقد تعلقا بالجاني، وأخيرا خبرها (مسلم) الذي دخلت عليه (باء) الجر الزائدة التي تفيد التوكيد.

إذاً فنمط هذه الجملة هو: لا + اسمها + متمم أول + متمم ثاني + باء الجر الزائدة + خبرها (مفرد).

ملاحظة: جاء اسم "لا" في هذا البيت معرفة، ومن المفروض أن يقع نكرة، وهذه حالة شاذة.

ب- معلقة طرفة بن العبد: حوت هذه المعلقة شاهداً واحداً في البيت (100) التالي:

لعمرك ما أمري علي بغمة نهاري، ولا ليلى علي سرمد.⁽⁷³⁾

عرضنا لهذا البيت في أثناء الحديث عن (ما) الحجازية، لذلك لن نقف على معناه. استخدم الشاعر في البنية التركيبية الشاهد "لا" الحجازية وجاء اسمها معرفاً بالإضافة إلى (ياء المتكلم) مرفوعاً محلاً مجروراً لفظاً، فجار ومجرور (علي) وأفاد حرف الجر الإستعلاء المعنوي، ثم خبرها (سرمد) وقد دخلت عليه (باء) الجر الزائدة للتوكيد، ونمط هذه البنية التركيبية هو:

لا الحجازية + اسمها (مفرد معرفة) + متمم + باء الجر الزائدة + خبرها (مفرد).³

³ ملاحظة: في البيت المذكور آنفاً نفى محمد الدرة في مؤلفه (فتح الكبير) نفياً قاطعاً أن تكون لا حجازية، واعتبرها زائدة للتوكيد وأعرب (ليلى) اسماً معطوفاً على (أمر) واعتبر (سرمد) معطوفاً على (غمة)، فيكون لدينا اسمان معطوفان بعاطف واحد هي الواو على معطوفين مختلفين.

5- التوكيد بأن مع النفي:

في النفي المؤكد لا تستخدم الأساليب التي عرضناها سابقا فقط، بل هناك أساليب أخرى، منها استخدام حرف التوكيد (إنّ) مآزرا بـ (لا) النافية الهاملة، وقد ورد هذا الضرب من التوكيد ثلاث مرات في المعلقات العشر كما يلي:

أ- معلقة لبيد بن ربيعة: وقفنا على شاهد واحد في البيت (39):

صادف منها غرة⁽⁷⁴⁾ فأصبتها إن المنايا لا تطيش سهامه⁽⁷⁵⁾

صادفت الذئب من البقرة غفلة، فأصبتها بافتراس ولدها، فمهما كانت حامية له بحذر و هيهات أن لا يصل إليه مفترس فسهم الموت لا يطيش، فلكل أجل كتاب حتى عند الحيوان، وأكد الشاعر ذلك باستخدامه حرف التوكيد (إنّ) داخل بنية تركيبية اسمية منفية بـ "لا"، واسم (إنّ) هي (المنايا) وخبرها الجملة الفعلية المنفية (لا تطيش سهام)، وأضيف الفاعل إلى الضمير (هاء) الغائبة وهذا هو نمطها: إنّ + اسمها + لا + خبرها (جملة فعلية) + متمم.

ب- معلقة الأعشى: ورد هذا النوع من الجمل مرة واحد في قوله بالبيت (57):

كلّا زعمتم بأنّا لا نقاتلكم إنّا لأمثالكم يا قومنا قتل⁽⁷⁶⁾

النمط التركيبي للبنية هو: أنّ + اسمها + لا + خبرها (جملة فعلية) + متمم.

يخاطب الأعشى المغيرين عليهم، وينفي لهم زعمهم بل يقينهم بأن الشاعر وقومه سوف يقعدون عن قتالهم، فاستخدم لذلك بنية تركيبية اسمية منسوخة بأن المؤكدة واسمها (نا) المتكلمين، ثم "لا" النافية، فخبرها الجملة الفعلية (نقاتل) والفاعل فيها كان ضميرا مستترا وجوبا تقديره (نحن)، ثم المتمم وهو المفعول به، الضمير المتصل (كم).

ج- معلقة النابغة الذبياني: أيضا عثرنا على شاهد واحد في البيت (19) التالي:

قالت له النفس: إني لا أرى طمعا وإن مولاك لم يسلم، ولم يصد⁽⁷⁷⁾
 نمط هذه البنية التركيبية الشاهد هو: إن + اسمها + لا + خبرها (جملة فعلية) +
 متمم.

النفس المتحدثة، هي نفس "واشق" وهو كلب صيد حدثته نفسه حينما رأى صاحبه الكلب "ضمران" وقد قتله الثور، فقالت له بأن لا أمل في اصطلياد هذا الثور، وقد أكد ذلك الشاعر باستخدامه (إن) واسمها هو الضمير المتصل (ياء المتكلم)، بعدها نفى الحكم، وهو الطمع في اصطلياد الثور، فكان خبرها الجملة الفعلية (أرى)، بعدها المفعول به (طمعا).

6- التوكيد بـ "بل" مع النفي:

ورد هذا النوع من التوكيد مرة واحدة فقط في المعلقات العشر، عند لبيد بن ربيعة بالبيت (57) في قوله:

أولم تكن تدري نوار بأنني وصال عقد حبائل جذامها
 تراك أمكنة إذا لم أرضها أو يعتلق بعض النفوس حمامها
 بل أنت لا تدريين كم من ليلة طلق لذيد لهُوها و ندامها⁽⁷⁸⁾

يؤكد الشاعر في هذه البنية جهل نوار، لكثرة الليالي التي استمتع فيها بشرب الخمر واللهو مع الندماء، ولتوكيد هذه الدلالة استخدم (بل) التي تضم "ما قبلها بما بعدها لتؤكد الثاني أو تلفت الانتباه أو تضرب عن الأول لتثبت الثاني"⁽⁷⁹⁾، حيث أضرب عن شكه في جهل نوار لخصاله وصفاته إلى التأكيد بأنها جاهلة حقاً لذلك، ثم أردف هذه الأداة بالمسند إليه، الضمير المنفصل (أنت)، فـ "لا" النافية، ثم المسند وهو الجملة الاسمية المنسوخة بالفعل (تدريين) وفاعله (ياء المخاطبة) ومفعولاه الجملة الاسمية بعده، فـ (كم) خبرية مسند إليه و (من حرف جر زائد للتوكيد) و (ليلة) تمييز كم وخبر كم

محذوف تقديره (موجودة) وتلته جمل من المتمات ، وهذا هو نمط هذه البنية التركيبية:

بل + مسند إليه + لا + مسند (جملة اسمية منسوخة) + متمات.

7- التوكيد بـ "لا" الزائدة:

ومن أساليب التوكيد التي اعتمدها شاعر المعلقة، الإتيان بـ (لا) الزائدة بعد (ليس) النافية لتوكيد النفي، ويمثل هذه الحالة الحارث بن حلزة في قوله:

ليس منّا المضربون ولا قيد س ، ولا جندل ولا الحداء⁽⁸⁰⁾

يعبر الشاعر بني تغلب لأنهم ضربوا بالسيوف، ويستثني قومه وقيس وجندل والحداء، فهم كلهم لا ينتمون إلى المضربين، وقد أكد هذا النفي من خلال تكرار حرف "لا" ثلاث مرات للنفي الأول بالفعل الماضي الناقص ليس.

واستخدم الشاعر صيغة المبالغة (مضربون) لتوكيد الضرب الذي وقع على بني تغلب، ورّكت هذه البنية من (ليس) وقدم خبرها شبه الجملة (منا) على اسمها (المضربون)، ثم نجد حرف عطف، فـ "لا" زائدة لتوكيد النفي، فعطف نسق، وقد تلاه متمان مناظران له وهذا بيان نمطها:

ليس + خبرها مقدم (شبه جملة) + اسمها + حرف عطف + لا + متمات...

خاتمة

وبعد هذه الرحلة الممتعة التي قادتنا إلى العصر الجاهلي حيث أبحرنا مع الجاهليين واستمتعنا بأشعارهم وأدركنا بحق أنهم قد ملكوا ناصية القول ، وبهذا الضرب من النفي المؤكد، نكون قد أنهينا الحديث عن النفي والنفي المؤكد في المعلقة العشر- مع البنى التركيبية الاسمية الخبرية، وأهم النتائج التي توصلنا إليها يمكن تلخيصها على النحو التالي:

- جاءت "لا" النافية المهملة مرتين فقط في المعلقات العشر- مرة عند زهير بن أبي سلمى، وأخرى عند امرئ القيس (وعند هذا الأخير في الجملة الفعلية).
- جاء الفعل الماضي الناقص (ليس) نافيا دون توكيد خمس مرات في نصوص المعلقات .
- لم ترد (ما) النافية الهاملة (غير العاملة) في المعلقات العشر.
- جاءت (ما) الحجازية ست مرات في شعر المعلقات.
- (لا) النافية للوحدة، أخت ليس طرقت باب المعلقات العشر- مرتين فقط، الأولى في معلقة طرفة بن العبد والثانية في معلقة زهير بن أبي سلمى، و كان اسمها معرفة وهذه حالة شاذة في الدرس النحوي العربي إذ من المفروض أن يكون اسمها نكرة.
- ورد شاهد واحد ل (لا) الزائدة في معلقة الحارث بن حلزة.

الإحالات:

- 1- محمد كراكي: خصائص الخطاب الشعري في ديوان أبي فراس الحمداني (دراسة صوتية تركيبية)، دار هومة، الجزائر، (دط)، 2003، ص: 148-149 .
- 2- مهدي المخزومي: في النحو العربي (نقد وتوجيه)، دار الرائد العربي، لبنان، ط2، 1986، ص: 246.
- 3- ابن هشام: الإعراب عن قواعد الإعراب، تحقيق: علي فودة نيل، نشر جامعة الرياض، ط: 1، 1981، ص: 75.
- 4- الأعراف / 12.
- 5- أبو الحسن علي بن عيسى الرماني: معاني الحروف، تحقيق: الشيخ عرفان الدمشقي، المكتبة العصرية، بيروت، ط: 1، 2005م، ص: 58 .
- 6- على توفيق الحمد ويوسف جميل الزعبي: المعجم الوافي في النحو العربي، دار الآفاق الجديدة (المغرب)، ط: 1، 1992، ص: 270..
- 7- النساء / 148.
- 8- يس / 40.
- 9- طوى: أراد وأضمر وأخفى (محمد علي طه الدرة: فتح الكبير المتعال إعراب المعلقات العشر الطوال، دار الكتاب، دمشق، ط: 1، 1986، ص: 65).
- 10- الكشخ: الخاصرة (شرح ابن الانباري، ص: 276).

- 11- ديوان زهير بن أبي سلمى، تحقيق: علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1988، ص: 108.
- 12- رايح بوحوش: التراكيب اللسانية في الخطاب الشعري القديم (تطبيقات على النظرية التوليدية التحويلية لتشومسكي)، مكتبة الآداب، القاهرة، ط: 1، 2006، ص: 43.
- 13- خليل أحمد عمارة: في التحليل اللغوي (منهج وصفي تحليلي)، مكتبة المنار، الأردن، ط: 1، 1987، ص: 156.
- 14- ديوان طرفة بن العبد، تحقيق: علي الجندي، مكتبة الأنجلو المصرية، (د ط)، (د ت)، ص: 63.
- 15- ديوان عمرو بن كلثوم، تحقيق: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: 2، 1996، ص: 87.
- 16- موائلا: من آل ووائل، أي هرب، فزع (ديوان الحارث بن حلزة، تحقيق: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: 1، 1991، ص: 87).
- 17- الطود: الجبل (الخطيب التبريزي: شرح المعلقات العشر، تحقيق: فخر الدين قباوة، دار الفكر (دمشق) ودار الفكر المعاصر (بيروت)، ط: 2، 2006، ص: 308).
- *- الحرة: كل موضع فيه حجارة سود (م: ن، ص: ن).
- 18- الرجال: الصلبة الشديدة (الحارث بن حلزة: الديوان، ص: 69).
- 19- انظر: أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري: شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ط: 6، 2005، ص: 474، و انظر: شرح التبريزي، ص: 308.
- 20- ديوان الأعشى، تحقيق: فوزي عطوي، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت، (د ط)، (د ت)، ص: 17.
- 21- عريب: أحد، ولا يستعمل إلا في النفي (شرح التبريزي، ص: 370، وانظر: ديوان عبيد بن الأبرص، تحقيق: أشرف أحمد عدرة، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: 1، 1994، ص: 19).
- 22- م: ن، ص: 23.
- 23- صبيح التميمي: هداية السالك إلى ألفية ابن مالك، دار البعث، الجزائر، ط: 2، ج: 2، ص: 188-189.
- 24- فاضل صالح السامرائي: معاني النحو، العاتك لصناعة الكتاب، القاهرة، (د ط)، (د ت)، ج: 1، ص: 332.
- 25- م: ن، ص: ن.
- 26- صبيح التميمي: هداية السالك، ج: 2، ص: 189.
- 27- الصافات/ 47.
- 28- السامرائي: معاني النحو، ج: 1، ص: 330.
- 29- امرؤ القيس: الديوان، ص: 28.
- 30- زهير بن أبي سلمى: الديوان، ص: 110.
- 31- الأعشى: الديوان، ص: 19.
- 32- ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: كرم البستاني، دار صادر، بيروت، (د ط)، (د ت)، ص: 31.
- 33- م: ن، ص: 33.

- 34-م: ن، ص: 36.
- 35-م: ن، ص: ن.
- 36-يضغو: يصيح (محمد الدرة: فتح الكبير، ص: 48)
- 37-حيزومه: صدره (م: ن، ص: ن).
- 38-عبيد بن الأبرص: الديوان، ص: 26.
- 39-الرئم: الظلي الأبيض الخالص البياض، و الجمع آرام (امرؤ القيس: الديوان، ص: 38)
- 40-النص: الرفع (م: ن، ص: ن)
- 41المعطل: الذي لا حلي عليه (م: ن، ص: ن)
- 42-م: ن، ص: 41.
- 43-الضليح: العظيم الأضلاع المنتفخ الجنين (م: ن، ص: 49)
- 44-ضاف: طويل (محمد الدرة: فتح الكبير، ص: 128)
- 45-ديوان امرئ القيس، ص: 38.
- 46-التلاع: مجاري الماء من رؤوس الجبال إلى الأودية، و هي تستر من نزل فيها (طرفة: الديوان، ص: 36)
- 47-م: ن، ص: ن.
- ** المعضد: سيف يقطع به الشجر (شرح الشنقيطي، ص: 77)
- 48-ديوان طرفة، ص: 60.
- 49-زهير بن أبي سلمى: الديوان، ص: 106.
- 50-ديوان عنتره، ص: 191.
- 51-م: ن، ص: 196.
- 52-ورد بدل (كمشت) (شككت) في رواية ابن الأنباري، ص: 347، و شرح الزوزني، ص: 221، و شرح التبريزي، ص: 235، و شرح الشنقيطي، ص: 182.
- 53-ديوان عنتره، ص: 210.
- 54-م: ن، ص: 212.
- 55-جلال الدين السيوطي: الأشباه و النظائر في النحو، دار الكتب العلمية، (د، ط)، (د، ت)، ج: 2، ص: 75.
- 56-أبو الفتح عثمان بن جني: اللمع في العربية، تحقيق: سميح أبو مغلي، دار مجدلاوي، الأردن، 1988، (د ط)، ص: 39.
- 57-صبيح التميمي: هداية السالك، ج: 2، ص: 116.
- 58-عبد الرحمن حسن حنكة الميداني: البلاغة العربية (أسسها، وعلومها، وفنونها)، دار القلم (دمشق) والدار الشامية (بيروت)، ط: 1، 1996، ج: 1، ص: 206.
- 59-السامرائي: معاني النحو، ج: 1، ص: 335.

- 60- السيوطي: الأشباه و النظائر في النحو، ج:2، ص: 228 – 229.
- 61- امرؤ القيس: الديوان، ص: 43.
- 62 -طرفة الديوان،ص:64.
- 63 - زهير: الديوان، ص:107.
- 64- ديوان عمرو بن كلثوم ،ص:
- 65 - الأعشى: الديوان، ص: 18.
- 66 - النابغة: الديوان، ص:36-37.
- 67 - علي توفيق الحمد: المعجم الوافي في النحو العربي،ص: 269.
- 68- عباس حسن: النحو الوافي،ص: 602.
- 69- علي توفيق الحمد: المعجم الوافي،ص: 269.
- 70- عباس حسن: م ن،ص: 607-608.
- 71- زهير بن أبي سلمى: الديوان،ص:110.
- 72- شرح الزوزني، ص: ن.
- 73- طرفة: الديوان،ص: 64.
- 74- غرة: الغفلة (شرح الزوزني، ص: 150)
- 75- لبيد بن ربيعة: الديوان، ص:
- 76- الأعشى: الديوان، ص: 21
- 77- ديوان النابغة، ص:33
- 78- ديوان لبيد بن ربيعة ، ص:212.
- 79- رابح بو حوش: التراكيب اللسانية، ص:73.
- 80- ديوان الحارث بن حلزة،ص:71.